الأمر عرفاً دون نكر، عرفاً في مادة الأمر وكيفيته، وعرفاً من الآمر أن يكون هو نفسه مؤتمراً به ثم ليكن أمراً بالعرف، فالباء في الأولى للمصاحبة وفي الثانية للتعدية وهما معاً معنيّان.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ إعراضاً عن ملاحقتهم لجهلهم القاحل، وإعراضاً عن مصاحبتهم للجهل المتجاهل العارف، وإعراضاً عن إتباعهم مسايرة جهلهم، فالجهل في مثلث التعامل تتركز عليه نقطة الإعراض، إبرازاً للمفاصلة بين غير الجاهلين والجاهلين، ونهياً جاهراً عن منكر الجهل الجهالة.

وهنا الأخذ بالعفو الإغماض هو كأصل ما لم يعارض ملابسات تفرض عدم العفو، كأن يعفى عن الظالم الذي يزداده العفو عتوا على المظلوم ونفورا عن العدل، سواء كان المظلوم هو العافي فهو ظالم مرتين، أم المطّلع على ظلم أخيه فهو ظالم مرة.

كما وأن الإعراض عن الجاهلين لا تعنى - فيما تعنيه - الإعراض عن تعليم وتأديب الجهال الذين هم في تحرّي العلم والمعرفة، أم هم غافلون عن جهلهم أو واجب تعلمهم، فعلى العالم أن يظهر علمه اللّهم إلّا فيما يهدر أو يهدّر فإنه - إذاً - ظلم بالعلم ورعيله.

ومن الترتيب التربوي بين هذه الثلاثة أن الأصل الأوّل هو الأخذ بالعفو مالاً وحالاً وأعمالاً في نفسك وذويك وسائر الناس، ومن العفو في الدعوة هو الوسط بين الإفراط والتفريط، فإذا تخلف متخلف بعد بلوغ الحجة فـ ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ ثم إذا جهل جاهل إصراراً على جهله ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.

وهكذا يصدق المروي عن الإمام الصادق عليه السلام انه ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية[1].

(١) الدر المنثور ٣: ١٥٤ - أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن علي عليه السلام قال قال رسول =

فهنا في ختام السورة يؤمر صاحب الدعوة بمن معه - وهم بعد في مكة - أن يواجهوا تلك الجاهلية العريقة الحميقة بكل سماحة ويسر، أخذاً بالعفو الميسّر ورفضا لكل معسّر إلّا إذا لزم الأمر كما في حقل النهي والأمر، تغاضيا عما يقبل في عشرة الناس، دونما تنازل عما قرره الله من شرعته حيث لا تقبل التنازل كما ليس فيها تعاضل.

فالأعضاء عن الضعف البشري، والعطف عليه، والسماح معه، كل ذلك واجب الداعية، فالتعامل مع مختلف النفوس البشرية بغية هداها يقتضي رحابة صدر وسماحة طبع، في غير تهاون ولا تفريط في شرعة الله.

ثم الأمر بالعرف هو عرف ذلك الأمر في شرعة الله، والعرف المأمور به هو المعروف لدى الفطرة والعقلية الإنسانية والشرعة الربانية، معروفاً لا ينكر ولا يتنكر، وهذه هي الخطوة الأولى في حقل الأمر، ومن ثم خطوات أخرى إلى أعراف أخرى تلحقها.

ثم الإعراض عن الجاهلين في حقلي الأخذ بالعفو والأمر بالعرف، ومن الإعراض عنهم هو الإعراض عن عفوهم إلى مجازاتهم، والإعراض عن أمرهم إلى إلزامهم.

ذلك، وتعريفاً بالجاهلية عن لسان النبي ﷺ: «الناس معادن، خيارهم

= الله ﷺ: ألا أدلك على خير أخلاق الأولين والآخرين؟ قلت يا رسول الله ﷺ نعم قال: تعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك، أقول وقد تظافرت الروايات عنه ﷺ أنه قال مقالته تلك بعد نزول هذه الآية وبمناسبتها.

وفي نور الثقلين ٢: ١١١ في عيون الأخبار بإسناده إلى الحارث بن الولهاث مولى الرضا عليه السلام قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال سنة من ربه وسنة من نبيه وسنة من وليه - إلى قوله: وأما السنة من نبيه فمداراة الناس فإن الله أمر نبيه بمداراة الناس فقال: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين.

في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»[١] و«كل دم ومال كان في الجاهلية تحت قدمي هاتين»[٢] و«كل رباً في الجاهلية موضوع»[٣] و«كل دين في الجاهلية موضوع»[٤] و«دعوى الجاهلية حرام»[٥].

وقد يروى عن النبي ﷺ قوله: مثل المؤمن مثل السنبلة تميل أحياناً وتستقيم أحياناً وفي ذلك تكبر فإذا صدها صاحبها حمد أمره كما حمد صاحب السنبلة بره ثم قرء هذه الآية[٦].

فاحذروا أيها الناس من الذنوب والمعاصي ما قد نهاكم الله عنها وحذركموها في كتابه الصادق بالبيان الناطق فلا تأمنوا مكر الله وتحذيره عند ما يدعوكم الشيطان اللعين إليه من عاجل الشهوات واللذات في هذه الدنيا فإن الله عزوجل يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ فأشعروا قلوبكم خوف الله وتذكروا ما قد وعدكم الله في مرجعكم إليه من حسن ثوابه كما قد خوفكم من شديد العقاب[٧]

---

(١) مفتاح كنوز السنة عن بخ - ك ٦١ ب ١، مس - ك ٤٣ ح ١٦٨، ك ٤٤ ح ١٤٩ مى - المقدمة ب ٢٣، حم - ثان ص ٦٥٧ و٢٦٠ و٣٩١ و٤٣١ و٤٣٨ و٣ ٤٨٥ و٤٩٨ و٥٢٤ و٥٣٩، ثالث ص ٣٦٧ و٣٨٣، رابع ص ١٠١ ط - ح ٢٤٧٦ قا، قد - ص ٤٢٤.

(٢) المصدر عن بد - ك ٣٨ ب ١٧ و٢٤، تر - ك ٤٤ سورة ٩ ح ٢، مج - ك ٢١ ب ٥ حم - ثان ص ١١ و١٠٣ و١٨٧ و١٨٧ و٢٠٧، رابع ص ٣٢، خامس ص ٧٢ و٤١١، ط - خ ٢٢٧ هش - ص ٦٩٨، قد - ص ٣٣٨.

(٣) المصدر عن بد - ك ٢٢ ب ٥، مى - ك ١٨ ب ٣.

(٤) المصدر عن حم - ثان ص ١٠٣.

(٥) المصدر عن بخ - ك ٢٣ ب ٣٦ و٣٩ و٤٠، ك ٦١ ب ٨، ك ٦٥ سورة ٦٣ ب ٥، حم - ثالث ص ٣٣٨ و٣٨٥ و٣٩٢، رابع ص ١٣٠ و٢٠٢، خامس ص ٣٤٤، ط - ح ١١٦٢.

(٦) الدر المنثور ٣: ١٥٤ - أخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: لما نزلت ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] قال رسول الله ﷺ: وفيه عن ابن مسعود عنه ﷺ أنه كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفثه ونفخه.

(٧) نور الثقلين ٢: ١١٢ في روضة الكافي كلام لعلي بن الحسين عليه السلام في الوعظ والزهد في الدنيا يقول فيه: وفيه عن الخصال عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: ثلاثة من أشد ما=

ذلك! ومن الجاهلين الماحلين الذين يحسبونهم عارفين فالحين من يصفهم الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام في عظة له: لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويرجئ التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا بقول الزاهدين، ويعمل فيها بعمل الراغبين، إن أعطي منها لم يشبع، وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، ينهى ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي، يحب الصالحين ولا يعمل عملهم، ويبغض المذنبين وهو أحدهم، يكره الموت لكثرة ذنوبه، ويقيم ما يكره الموت له، إن سقم ظل نادماً، وإن صح امن لاهيا، يعجب بنفسه إذا عوفي، ويقنط إذا أبتلي، إن أصابه بلاء دعى مضطراً، وان ناله رجاء أعرض مغترّاً، تغلبه نفسه على ما يظن، ولا يغلبها على ما يستيقن، يخاف على غيره بأدنى من ذنبه، ويرجو لنفسه بأكثر من عمله، إن استغنى بطر وفتن، وإن افتقر قنط ووهن، يقصّر إذا عمل، ويبالغ إذا سأل، إن عرضت له شهوة أسلف المعصية، وسوّف التوبة، وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملة، يصف العبرة ولا يعتبر، ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ، فهو بالقول مدلّ، ومن العمل مقلّ، ينافس فيما يفنى، ويسامح فيما يبقى، يرى الغنم مغرماً والغرم مغنماً، يخشى الموت ولا يبادر الفوت، يستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه، ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره، فهو على الناس طاعن، ولنفسه مداهن، اللغو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقهاء، يحكم على غيره لنفسه، ولا يحكم عليها لغيره، ويرشد غيره ويغوي نفسه،

= عمل: إنصاف المؤمن نفسه ومواساة المؤاخاة وذكر الله على كلّ حال وهو أن يذكر الله عند المعصية وهو قول الله عزوجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ [الأعراف: ٢٠١]: وفيه عن الكافي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألته عن قول الله عزوجل: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٠١] قال: هو العبد يهم بالذنب ثم يتذكر فيمسك فلذلك قوله: ﴿تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

فهو يطاع ويعصي، ويستوفي ولا يوفي، ويخشى الخلق في غير ربه، ولا يخشى ربه في خلقه[١].

وهنا يقول رسول الهدى ﷺ: «كيف يا رب والغضب»؟ غضبي عليهم لعنادهم وغضبهم علي حيث أدعوهم وآمرهم وأنهاهم خلاف أهواءهم، فيجاب:

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾:

النزغ هو دخول في أمر لإفساده، وهكذا يتدخل الشيطان في صالح أمورنا لإفسادها، ومنه تدخّله في هذه المكارم الأخلاقية والعلاج بعد كلّ القدرات المقاومة ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ﴾ ليعيذك من نزغ الشيطان، ولا بد فيها من قال مع حال وأعمال لمكان ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فهو ﴿سَمِيعٌ﴾ لقالات المستعيذين، ﴿عَلِيمٌ﴾ حالاتهم وفعالاتهم المستعيذة، كما هو ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ قالات وفعالات المتخلفين عن شرعة الله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾:

مسّ طائف من الشيطان يعمي على الممسوس طريقه، فإذا تذكروا فإذا هم مبصرون والمس هنا مس للصدر فالقلب وما قبلهما من الفطرة والعقلية وما بعدهما من اللب والفؤاد حيث الشياطين يطوفون على كل مواضع اليقظة تعمية لها، إلّا ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٢] استعاذة وسواها[٣].

(١) (الحكمة ١٤٣).
(٢) سورة النحل، الآية: ٩٩.
(٣) تفسير الفخر الرازي ١٦: ٩٦ وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: . . .

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾:

إنه لا يقتصر ﴿طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ على مسهم المسيس، بل ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ﴾ المس ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ أولاء وهؤلاء في مسهم اللعين المتقين، فاليقظة اليقظة للذين اتقوا تذكرا باستعاذة باستنجازة حتى يبصروا مسيرهم إلى مصيرهم ولا يصطادوا إلى فخ الشيطان.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾:

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ﴾ يقترحونها أو يرتقبونها كما أوتي رسل الله، ﴿قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ﴾ كأنه هو المجتبي لآيات الله كما يحب ويرضى ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ﴾ دون ما أهواه أم تهوونه أنتم، إنما أتبعه لا سواه، سواء في وحي الرسالة أم آيتها الخالدة، فلا أنتظر من ربي آية سواها، ولن أقترح عليه آية سواها، بل والاقتراح على ربي في حقل رسالتي تجاوز عن أدب الرسالة إلى حدب الربوبية، ثم ليست الآيات الربانية إلّا بصائر من ربكم و﴿هَٰذَا﴾ القرآن العظيم ﴿بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فقد جمع آية القرآن بوحدتها كلّ البصائر الربانية، حيث تبصّر ما يبصر ببصيرة أم بصر ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[1] - ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

أجل إنه ﴿بَصَآئِرُ﴾ تبصر وتبصّر ﴿وَهُدًى﴾ تهدي ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ تحمل كل الرحمات ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فـ ﴿بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ تحلّق بصائره على كافة المكلفين، ولكن البصيرة ليست إلّا الطريقة المثلى، فليست - إذاً - ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ إلّا ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بالبصائر، دون هؤلاء الحماقى الذين ﴿وَجَحَدُوا۟

(١) سورة فاطر، الآية: ٣.
(٢) سورة الجاثية، الآية: ٦.

بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[١]: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾[٢] - ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٣] - ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[٤].

هنا ﴿لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾ تعجيز إلى سخرية، وكأنه مدع إمكانية إتيانه بآيات يجتبيها، و﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ ثم الويل كل الويل لهؤلاء الذين يضلون الناس ويعمونهم بتلك البصائر، تذرعاً بالقرآن إلى ضده علمياً أو عملياً، وكما يندّد بهم فيما أوحي إلى رسول الله ﷺ[٥].

وهؤلاء هم المعنيون من خطاب علي عليه السلام العتاب:

«أريد اداويكم وأنتم دائي، كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم أن ضلعها معها، اللهم قد ملت أطباء هذا الداء الدوي، وكلت النزعة بأشطان الركي»[٦].

---

(١) سورة النمل، الآية: ١٤.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٤.
(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٠.
(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.
(٥) الدر المنثور ٣: ١٥٥ - أخرج الحكيم الترمذي عن عمر بن الخطاب قال: أتاني رسول الله ﷺ وأنا أعرف الحزن في وجهه فأخذ بلحيتي فقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٦] من قوله: أتاني جبرئيل آنفاً فقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٦] قلت: أجل فإنا لله وإنا إليه راجعون فمم ذاك يا جبرئيل؟ فقال: إن أمتك مفتنة بعدك بقليل من الدهر غير كثير، قلت: فتنة كفر أو فتنة ضلالة؟ قال: كلّ ذلك سيكون، قلت: ومن أين ذاك وأنا تارك فيهم كتاب الله؟ قال: بكتاب الله يضلّون وأوّل ذلك من قبل قرائهم وأمرائهم، يمنع الأمراء الناس حقوقهم فلا يعطونها فيقتتلون، وتتبع القراء أهواء الأمراء فيمدونهم في الغي ثم لا تقصرون، قلت: يا جبرئيل! فبم يسلم من سلم منهم؟ قال: بالكف والصبر إن أعطوا الذي لهم أخذوه وإن منعوه تركوه.
(٦) (الخطبة ١٢٠).

أجل ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ﴾[١] هي القرآن نفسه، دون حاجة له إلى بصائر أخرى تفسره، فـ «فيه الحجة والنور والبرهان، كلام الله غض جديد طري شاهد، وحكم عادل، قائد بحلاله وحرامه، بصير به، قاض به، مضموم فيه، يقوم غداً فيحاج أقواماً فتزل أقدامهم عن الصراط»[٢] و«القرآن غنى لا غنى دونه ولا فقر بعده»[٣].

وقال ﷺ: ما من مؤمن ذكر أو أنثى، حرّ أو مملوك إلا وللّه عليه حق واجب أن يتعلم من القرآن ويتفقه فيه ثم قرأ: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[٤] [٥].

فلا تحصل الربانية العلمية والتربوية إلّا على ضوء دراسة الكتاب وتعليمه وكما قال ﷺ: «إن أردتم عيش السعداء وموت الشهداء والنجاة يوم الحشر والظل يوم الحرور والهدي يوم الضلالة فادرسوا القرآن فإنه كلام الرحمن وحرز من الشيطان ورجحان في الميزان»[٦].

وقال: «حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله، الملبسون نور الله، المعلمون كلام الله، من عاداهم فقد عادى الله ومن والاهم فقد والى الله»[٧].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٤.
(٢) جامع أحاديث الشيعة للمغفور له أستاذنا الأقدم في الفقه السيد البروجردي، ج ١٥: ٧، السيد علي بن طاووس في الطرف عن كتاب الوصية لأبي ضرير عيسى بن المستفاد من أصحاب الكاظم عليه السلام عنه عن أبيه عليه السلام في حديث أن رسول الله ﷺ قال للأنصار أيام وفاته فيما أوصى به إليهم: كتاب الله وأهل بيتي، فإن الكتاب هو القرآن وفيه الحجة.
(٣) المصدر عن المجمع ١٥ ج ١ - أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: . .
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٩.
(٥) المصدر، أبو الفتوح الرازي في تفسير عن عبد الله بن عباس عنه ﷺ وعن معاذ بن جبل عنه ﷺ.
(٦) المصدر.
(٧) المصدر ٢٥ عن تفسير أبي الفتوح الرازي.

ذلك وهؤلاء ممن يكون «القرآن حديثه»[١] و«شعاره»[٢] و«لا يعذب الله قلباً وعى القرآن»[٣] وقد كان كلام الامام الرضا عليه السلام كله وجوابه وتمثله انتزاعات من القرآن[٤].

ف «. . . أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك، أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد وأن ترزقني حفظ القرآن وأصناف العلم، وأن تثبتها في قلبي وسمعي وبصري، وأن تخالط بها لحمي ودمي وعظامي ومخي، وتستعمل بها ليلي ونهاري برحمتك وقدرتك فإنه لا حول ولا قوة إلا بك يا حي يا قيوم»[٥].

«اللهم ارحمني بترك معاصيك أبداً ما أبقيتني، وارحمني من تكلف ما لا يعنيني، وارزقني حسن المنظر فيما يرضيك عني، وألزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني، اللهم نور

(١) المصدر ٣٠ في رواية جامع الأخبار:
(٢) المصدر ٢٩ قوله صلى الله عليه وآله: «أولئك قوم اتخذوا مساجد الله بساطاً والقرآن شعاراً».
(٣) المصدر ٣٥ - أمالي ابن الشيخ بسند متصل عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وفيه عن جامع الأخبار للصدوق عنه صلى الله عليه وآله: اقرأوا القرآن واستظهروه فإن الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن.
(٤) المصدر ٦٧ عن العيون ٢: ١٨٠ عن إبراهيم بن العباس يقول: ما رأيت الرضا عليه السلام يسأل عن شيء قط إلا علم، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان الأول إلى وقته وعصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كلّ شيء فيجيب فيه، وكان كلامه كله.
(٥) المصدر ٣٨ عن الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: تقول: اللهم إني أسألك ولم يسأل العباد مثلك، أسألك بحق محمد نبيك ورسولك وإبراهيم خليلك وصفيك وموسى كليمك ونجيّك وعيسى كلمتك وروحك، وأسألك بصحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى وقرآن محمد صلى الله عليه وآله وبكل وحي أوحيته وقضاء أمضيته وحق قضيته وغني أغنيته وضال هديته، وأسألك باسمك الذي وضعته على الليل فأظلم، وباسمك الذي وضعته على النهار فاستنار، وباسمك الذي وضعته على الأرض فاستقرت ودعمت به السماوات فاستقلت، ووضعته على الجبال فرست، وباسمك الذي بثثت به الأرزاق، وأسألك باسمك الذي تحيي به الموتى، وأسألك.

بكتابك بصري، واشرح به صدري، فرح به قلبي، وأطلق به لساني، واستعمل به بدني، وقوني على ذلك، وأعني عليه إنه لا معين عليه إلا أنت»[(١)].

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾:

هنا ﴿قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾ موضوع لواجب الاستماع له والإنصات ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ والنتيجة الصريحة لسلبية الاستماع والإنصات له هي زوال الرحمة - وطبعاً - إلى خلاف الرحمة وهو العذاب الزحمة، فإن الله لا يخلى عباده من رحمة أو زحمة جزاءً وفاقاً بأسبابهما، وهنا السبب لزوال الرحمة إلى الزحمة هو ترك الاستماع والإنصات للقرآن حين يقرء.

أترى بعد أن ﴿قُرِئَ﴾ تختص بقراءة حية للحمد والسورة ومن قارئ مسلم يكلف، أم وأنت في صلاة جماعة مؤتماً به كما قد يروى؟ وقد روي إطلاق فرض الاستماع والإنصات للقرآن أيضاً[(٢)]، و﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾ ليس ليعني

(١) المصدر السابق.

(٢) نور الثقلين ٢: ١١٣ في التهذيب عن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألته عن الرجل يؤم القوم وأنت لا ترضى به في صلاة يجهر فيها بالقراءة؟ فقال: إذا سمعت كتاب الله يتلى فأنصت له فقلت: إنه يشهد علي بالشرك! قال: إن عصى الله فأطع الله فرددت عليه فأبى أن يرخص لي قال: فقلت له: أصلي إذا في بيتي ثم أخرج إليه؟ فقال: أنت وذاك وقال: إن علياً عليه السلام كان في صلاة الصبح فقرأ ابن الكوا وهو خلفه ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٥] فأنصت علي تعظيماً للقرآن حتى فرغ من الآية ثم عاد في قراءته ثم عاد ابن الكوا فأنصت علي عليه السلام أيضاً ثم قرأ فأعاد ابن الكوا وأنصت علي عليه السلام ثم قال له: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الرُّوم: ٦٠] ثم أتم السورة ثم ركع ورواه العياشي عن أبي كهمش عن أبي عبد الله عليه السلام من قوله: «قرأ ابن الكوا»، أقول، ورواه العياشي في تفسيره عن أبي كهمش عنه عليه السلام والقمي ٢: ١٦٠ قال: كان علي عليه السلام والجعفريات عنه عليه السلام وابن شهر آشوب في المناقب ٢: ١١٣ مثله.

أقول: علّ قراءته عليه السلام هذه الآية كان بعد الفاتحة في نفس السورة التي فيها الآية، ثم يلمح =